**جامعة محمد لمين دباغين سطيف2**

**كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية**

**قسم الفلسفة**

الاستاذ: الشريف زروخي.

المقياس: مصادر فلسفية

السداسي2

المستوى: السنة أولى ماستر

تخصص: فلسفة تطبيقية

المحاضرة رقم1.

قراءة في كتاب دافيد هيوم، رسالة في الطبيعة البشرية(Traité de la nature humaine)

- دافيد هيوم سيرة وفكر:

 ولد دافيد هيومDavid Hume(1711-1776م)، في اسكتلندا من أسرة متواضعة اجتماعيا، فقد والده وهو لا يزال رضيعا، وكان ميالا إلى الفلسفة منذ صغره وهو سبب رفضه دراسة القانون (المحاماة) كما ارادته أسرته، وقد عبر عن سيرته في كتابه"حياتي" وفيه قال أنه ألف كتابه"رسالة في الطبيعة البشرية" في سن الخامس والعشرين، والفكرة كانت تراوده وهو لا يزال طالب(زكي نجيب محمود، رسالة في الطبيعة البشرية، ص104)، لكنه لم يتعرض إلى العوامل التي ساهمت في تكوينه الفلسفي والمعرفي.

 ورغم ذلك استطاع دافيد هيوم بناء فلسفة كان لها تأثير كبير على حياة الناس في عصره وكان لها تأثير حتى على العلوم فيما بعد، يقول زكي نجيب محمود:"لقد أنتج هذا الكتاب ليذيع به في الناس فلسفة مبتكرة غيرت مجرى الفكر الفلسفي من بعده، وما تزال تغيره حتى يومنا هذا، "(زكي نجيب محمود، رسالة في الطبيعة البشرية، ص 104)، واستطاع دافيد هيوم أن يؤسس لرؤية مغايرة عن كل الرؤى السائدة في عصره، كما عرف بكثرة أسفاره وقد سافر إلى فرنسا وفي "لافليش" ألف الرسالة وقال عنها:"إنه مشروع ضخم وضعت خطته قبل أن أبلف الحادي والعشرين، وأنشأته قبل أن أتم الخامس والعشرين"(زكي نجيب محمود، رسالة في الطبيعة البشرية، ص104).

 وعندما أتم تأليف الرسالة عاد إلى لندن باحثا عن دور النشر ونشر الجزء الأول والثاني من الرسالة في 1739م، وبعد عام نشر الجزء الثالث، وكان في كل مرة يعيد نشر الرسالة يقوم بمراجعات وتصويبات ليتمكن المتلقي من مضامين الرسالة، لكنه تأسف على تسرعه في نشر الرسالة لما تضمنته من أخطاء في اللغة يقول:"لقد عاودني الندم مئات المرات ومئاتها على تسرعي في النشر"(زكي نجيب محمود، رسالة في الطبيعة البشرية، ص105)، وكان من أسباب تسرعه خوفه من أن يسبقه غيره في نشر أفكار بيهة بأفكاره، وكان يريد أن يكون أول ن يعلن عن هذا المنهج الفلسفي الجديد، وصدرت الرسالة(A treatise of human Nature)، لا تحمل أسم دافيد هيوم ولا أي أسم آخر، والهدف هو أن دافيد هيوم أراد أن يكون القارئ هو الحكم على مضمون الرسالة دون النظر في مؤلفه، لكن الرسالة لم تنل حظها من القراءة فقد ولدت ميتة، رغم أنه كان يضن أن ما جاء في الرسالة سيحدث ثورة فلسفية، وأكثر من ذلك تم منع الكتاب من التداول بين طلبة الجامعات.

 هذه الأحداث دفعت بدافيد هيوم إلى اعادة مراجعة العمل معترفا بتسرعه إلى درجة الحماقة، لهذا اعاد كتابة الرسالة عبر أجزاء مستقلة، وبدأ بالجزء الأول الخاص بالادراك العقلي وسماه (بحث في العقل البشري)( An Enquiry Concerning Human Undestanding)، والخطأ الذي ارتكبه في الرسالة هو أنه أراد أن يطبق مبدأه الفلسفي على كل نواحي الطبيعة البشرية من(عقل، عاطفة، سلوك). وكان هدف هيوم هو محاولة تأسيس علم للإنسان وكان هذا هو سبب بحثه في الطبيعة البشرية، وبدأ بحثه من البحث في قدرات الإنسان الذهنية وحدودها، وقد اشتمل الكتاب على ثلاث نظريات وهي:

1-نظرية في المعرفة(الفهم، الأفكار...).

2- نظرية في السيكولوجيا (الانفعالات، الحب...).

3- نظرية في الأخلاق( العدالة، الرذيلة، الظلم...).

وأقر بأسبقية الانفعالات عن العقل.

وقام بتقسيم المدركات الذهنية إلى قسمين:

أولا: الأفكار: وهي أقل قوة وحيوية لأنها نسخ من انطباعات.

ثانيا: الانطباعات(أصلية)

- الأفكار مجرد انعكاس باهت للإحساس على مرآة أفكارنا.

- الانطباعات أقوى من الأفكار وأشد تأثيرا وحيوية.

- الإنسان يستعمل الذاكرة والخيال في عملية ترتيب الأفكار.

- لا توجد أفكار عامة مجردة والموجود أفكار تدل على أشياء جزئية.

ثانيا: في مسألة العلية:

أنكر هيوم وجود علاقة ضرورية بين السبب والمسبب، الحدث والنتيجة، (دافيد هيوم، مبحث في الفاهمة البشرية، ترجمة موسى وهبة، دار الفارابي، بيروت لبنان، ط1، 2008)" ارتبط اسم دافيد هيوم بنقد مبدأ السببية وتفكيك فكرة الاقتران الضروري، وذاك ما ما يشكل اسهامه الرئيس في تنامي الفلسفة الامبريقية الانجليزية وبلوعها أوجها" (ص11)، والتجريبية فلسفة تقول بأن التجربة الحسية هي مصدر كل معارفنا في مقابل العقلانية التي تقول كل أفكارنا عن العالم مصدرها الأفكار الفطرية والذهنية القبلية، ، كما أن التجريبية تتنكر للميتافيزيقا، وهي فلسفة نقلت الأبحاث الفلسفية من البحث في الجوهر إلى البحث في سؤال المعرفة كيف نعرف؟ كما استبدلت الذات بعدما كانت جوهر صارت مع التجريبية موضوع للمعرفة وهو موقف يقترب في رأينا من موقف الغزالي والأشاعرة من السببية، لأن الغزالي أنكر السببية وقال أن الله هو السبب الوحيد، لأن القول بأن الأشياء تحمل في ذاتها المسبب يتناقض والقول بأن الله هو الخالق الوحيد، في حين أنكر دافيد هيوم مبدأ السببية ويقول أنها نتاج التجربة الحسية والتجربة الحسية (تكرار) والتكرار يوهمنا بوجود علاقة ضرورية بين الحدثين، لكن لا يستطيع الإنسان التفكير في الظواهر الطبيعية بدون مبدأ السببية، لأن انكار السببية يؤدي إلى مبدأ الشك.

والملاحظ أن نظرية دافيد هيوم سيكولوجية، لأنه يبدأ البحث في المعرفة من الانطباعات، معتبرا علم النفس العلم الفلسفي الحقيقي، ويقصد به علم الطبيعة البشرية، وفعلا في (رسالة في الطبيعة البشرية) يؤكد على الطبيعة السيكولوجية للبشر، لهذا يعد من مؤسسي علم النفس الحديث، كما حاول توظيف المنهج التجريبي في الأخلاق لبلوغ دقة العلوم الطبيعية ويعتبر أو ل من ارتقى بالتجربة إلى مستوى المبدأ الفلسفي، وكان هدفه بلوغ المبادئ الأساسية المتحكمة في الطبيعة البشرية متأثرا برؤية نيوتن، لأن الطبيعة البشرية في النهاية طبيعة يمكن دراستها دراسة علمية وكشف مبادئها مثلما تمكن نيوتن من الكشف عن مبادئ الحركة.

وقياسا على علم الحركة عند نيوتن اكتشف دافيد هيوم أن الحركة ناتجة عن وظائف النفس (علم الوظائف)، فإذا كانت الطبيعة عند نيوتن عبارة عن ذرات بسيطة، فإن هيوم يقول أن الطبيعة البشرية عبارة عن ادراكات بسيطة، وهو ما يعرف بنظرية ترابط الأفكار عنده، وكان دافيد هيوم يركز على السلوك الخارجي بدل التأمل الباطني كما ساد عند ديكارت.

وكتابه (رسالة في الطبيعة البشرية) كتبه قبل سن الخامس والعشرين من عمره، ويذكر دافيد هيوم أن رسالته لم تحض بقراءات على شاكلة الكتب الفلسفية آن ذاك، وحتى زميله أدم سميث منعه أستاذه من قراءة الرسالة، مما اضطر دافيد إلى اعادة مراجعة عمله، واعاد كتابة أجزاء الرسالة الثلاثة، حيث كل جزء مستقل عن الآخر وبدأ:

1-الجزء الخاص بالإدراك العقلي(بحث في العقل البشري).(1748)

2-بحث في مبادئ الأخلاق.(1751) (Enquiry cincerning the Principles of Morals)

3-جزء خاص بالعواطف لم يخرجه في عمل مستقل وإنما في شكل مقالات.

والمنعرج الحقيقي في مسيرة دافيد الفكرية كانت مع تأليف لكتاب"تاريخ بريطانيا العظمى) في ثلاثة أجزاء، فيه التزم الحياد في عرض الأحداث. وله عدة مؤلفات منها:

-مقالات أخلاقية وسياسية(1745).

-التاريخ الطبيعي(1756).

-بحوث سياسية(1756).

-محاورات في الديانة الطبيعية نشر بعد وفاته.

-حياتي.

-خطابات دافيد هيوم.

أولا: قراءة في الجزء الأول من الرسالة والمتعلق ب( تحليل الادراك العقلي):

 تناول سؤال طبيعة المعرفة العقلية، كيف يحصلها الإنسان وما قوامها؟- مصدر المعرفة؟ وقال أنها الحواس (الظاهرة والباطنة). الظاهرة وتشمل الحواس الخمسة، أما الباطنة فيقصد بها الوعي والشعور ويشمل جميع الحالات الانفعالية من عواطف ورغبات وأهواء، وقام دافيد هيوم بتقسيم المدركات العقلية إلى:

 1- الانطباعات وتتميز بالوضوح، القوة، الشدة، التأثير.

2- الأفكار وتتميز بأنها أقل وضوحا وضعيفة الأثر.

يقول زكي نجيب محمود:"الثانية صورة من الأولى لكنها محال أن تبلغ مبلغها في الوضوح، فالتفرقة إذا واضحة بين إحساسي بالشيء حين أكون على صلة مباشرة به وبين صورته أستعيدها في ذهني حين لا يكون الشيء نفسه قائما على مشهد مني أو مسمع أو ملمس....وإذن. ففي مستطاعنا أن نقسم إدراكاتنا العقلية قسمين، على أن يكون أساس القسمة هو درجة الوضوح وقوة الأثر، الانطباعات...الأفكار"(زكي نجيب محمود، رسالة في الطبيعة البشرية، ص107)

ويقدم لنا مثال فالحب والعواطف والمشاعر تكون انطباعات عندما نمارسها وتتحول إلى أفكار عندما نستعيدها باعتماد المخيلة (صور ذهنية)، أي أن الفرق بين الانطباعات والأفكار هو فرق بين الاحساس بالشيء في حالة التواصل المباشر معه وفي حالة استرجاعه كذكرى(صورة ذهنية)، ويصل دافيد إلى المعادلة التالية: كل فكر يرد انطباعات وكل انطباعات ترد إلى احساس مباشر.(ص108)

والأفكار المركبة في نظر دافيد هيوم إذا حللناها وجدنا أصلها انطباعات حسية، فمثلا تصور جبل من ذهب(معطى حسي)، ودليله من حرم حاسة حرم الأفكار، فلأعمى (فاقد البصر) لا يعرف طبيعة اللون، والأصم لا يعرف طبيعة الصوت، ولو افترضنا أنًّ الأعمى رد له بصره لتمكن من تركيب أفكار من انطباعات لم تكن لديه، وحتى وان كانت الحاسة سليمة ولم تلتق بشيء فلا يمكنها أن تركب افكار( حاسة الذوق)، وحتى الحواس الباطنة فمن طبع على الكره لا يعرف عاطفة الحب.(ص108)

لكن قد يحدث ونجد أفكار لا نستطيع ردها إلى طابعها أو أصلها الحسي فهي مجرد ألفاظ لا معنى لها، ومثل هذه الأفكار نجدها عند الفلاسفة الميتافيزيقين، لهذا أفكارهم غامضة، والفكر يصبح واضحا إذا رددناه إلى أصوله الحسية،(ص108) وهناك نوعين من الأفكار:

1-فكرة بسيطة: غير قابلة للتحليل مثل (اللون).

2-فكرة مركبة: يمكن تحليلها (البرتقالة: لون، طعم، شكل، حجم)

يقول زكي نجيب محمود:"الفكرة في رؤوسنا إما أن تكون بسيطة أو مركبة، والبسيطة هي التي لا يمكن تحليلها"(ص109)

لكن كيف نفهم الألفاظ الكلية المجردة وهي لا تشير إلى انطباعات حسية؟ مثل لفظ إنسان، هذه اللفظة في نظر دافيد هيوم لا ترد إلى الأفراد وإنما إلى المشترك بينهم، وينبغي أن تطلق على جزئياته، والأسماء الكلية كل منها يشير إلى صورة جزئية حسية، لكننا أمام إشكالية خطيرة هنا وهي تهديم المذهب من اساسه، لأننا في هذه الحالة مطالبون بتجاوز معطيات الخبرة الحسية المباشرة، لان لفظ إنسان متأتية من صورة جزئية ارتسمت في أذهاننا أو فكرة جزئية، وقولنا إنسان تشير إلى فرد بعينه ولا يمكن أن تطلق على الجميع، أي أننا عندما نقول إنسان فإننا نقصد فرد بعينه ولا نقصد الكل،(ص109)، لكن كيف تركب الأفكار البسيطة في الذهن، يقول دافيد أن ترابط الأفكار يتم وفق قوانين( التشابه، التجاور زمانيا ومكانيا، العلة والمعلول).

فالفكرة تستدعي ما يشابها إذا وقعتا في زمن واحد أو في لحظتين متتابعتين أو في لحظة واحدة أو في مكان واحد أو في موضعين متقاربين، والفكرة تستدعي فكرة أخرى إذا كانت علة لها، أو معلولة لها، مثلا: رؤية صورة تستدعي صاحب الصورة لوجود تشابه، وذكر مسكن يستدعي السكن المجاور(تجاور مكاني)، والتفكير في الجرح يستدعي التفكير في الألم لوجود علاقة علة ومعلول، ورغم تعاقب اللحظات والانطباعات الحسية، لكن ما هو سر الاعتقاد بثبات الأشياء (الهوية)؟ كيف أستطيع الحكم جازما أن الشيء هو هو مستمر الوجود رغم انفصالي عنه حسيا؟ زكيف أقول أن الشيء هو هو كلما تواصلت معه حسيا؟ السبب في رأي دافيد هيوم يعود إلى مبدأ العادة، لأنه لا الحواس ولا العقل يضمن لنا القول بثبات الأشياء وإنما العادة.(ص110).

استبعد دافيد هيوم القول بوجود جوهر وراء الأعراض، وإنما العادة والتكرار يجعلاننا نعتقد بوجود هوية ثابتة.

النتيجة هي أن المعرفة أساسها الانطباعات الحسية فهي:"في جملتها مجموع ادراكات perception اي أفكار بلغة ديكارت أو معان بلغة لوك وباركلي، والادراكات منها انفعالات impressions ومنها أفكار أو معان thoughts or ideas ومنها علاقات relations بين المعاني بعضها والبعض وبينها وبين الانفعالات، فالانفعاىت هي الظواهر الوجدانية الاولية، أو هي إدراكاتنا القوية البارزة، مثل انفعالات الحواس الظاهرة.(يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط1، 2012 ص)182والتفكير هو ربط فكرة بفكرة تقتضيها أو ربط فكرة بأصلها الخارجي، ويصبح التفكير عملية رياضية استنباطية، وليس استنباط فكرة من فكرة وإنما ربط فكرة بالواقع، وهناك نوعان من الفكر:

1- فكر نظري: صرف ويقيني النتائج لأنها مستنبطة استنباط صحيح من مقدمات، وهو تفكير عقلي خالص ويعيني توليد فكرة من فكرة.

2- عملي: فيه نطابق بين أفكارنا وواقعنا، ولا يوجد يقين فكل ما نقوله عن الواقع يوجد نقيضه ويخضع للعادة ولمبدأ الترجيح، (شروق الشمس) وهو تفكير حسي، والخبرة الحسية هي مصدر أفكارنا ومعارفنا. إذا:"الخبرة الحسية وحدها-لا التفكير العقلي الخالص- هو المصدر الذي نستقي منه علمنا بالواقع"(ص111).

خاتمة:

بعد التطرق إلى نظرية دافيد هيوم في المعرفة يمكن القول أن دافيد هيوم رد كل معارفنا إلى التجربة الحسية ورفض القول بوجود مصادر أخرى خارج الحواس، وحتى العقل يصبح في حالة انفعال وتلقي ولا يملك القدرة على انتاج المعرفة وإنما دوره التوليف بين معطيات الحس وإعادة تركيبها في صور مختلفة. كما رفض القول بوجود علاقة ضرورية بين العلة والمعلول ورد ذلك إلى العادة والتكرار، كما رفض القول بمبدأ الهوية أو بوجود جوهر وراء الأعراض. وبهذا الموقف يكون دافيد هيوم قد رفض الميتافيزيقا طالما لا يمكن تأسيس قضاياها تأسيسا تجريبيا. ويكون دافيد هيوم قد وضع حدود للمعرفة العقلية، لأن المواضيع التي لا نستطيع معرفتها تجريبيا أو حسيا لا يمكننا إثباتاه أو نفيها، فلا نستطيع معرفة ماهية النفس، ولا معرفة طبيعة حقيقة العالم ولا نستطيع معرفة ماهية الله، كل هذه القضايا تتجاوز حدود المعرفة الحسية والعقلية وبالتالي لا يمكن للإنسان أن يكون حولها انطباعات.(دافيد هيوم، رسالة في الطبيعة البشرية، ج2، الأهواء، ص24).

نقد وتقييم:

تجريبية هيوم لا تؤمن بالأفق النظري والعقلي، لأن العقل حسي لا يمكنه التجريد والتعميم، وتصبح البنية الابستيمولوجية لهذا العقل مستفادة من الواقع المباشر، وخطأ المذهب التجريبي الذي يمثله هيوم يكمن في اعتباره المعرفة حسية وفقط مستبعدا العقل في تحصيل المعرفة، لكن كيف نفسر ونؤول المعرفة الحسية وكيف نستنبط معانيها إذا لم يتدخل العقل.

ثانيا: تحليل العواطف:

يستعمل دافيد هيوم مصطلح العواطف لتطلق على كل أصناف الغرائز والدوافع النفسية والميول والرغبات والانفعالات (حب، كره...)، أما الشعور باللذة وبالألم فيدخل ضمن الانطباعات الحسية (الجانب الادراكي لا الوجداني).(زكي نجيب محمود، رسالة في الطبيعة البشرية، ص12)،

ويقسم العواطف إلى:

-الشهوات الفطرية ووينشأ عنها الكثير من المتع (الاستمتاع) وتشمل على:( شهوة الطعام، الجنس)، وهي لا تنبني على خبرات سابقة أو أولية، ويطلق عليها عواطف أولية.

-عواطف مؤسسة على الطبيعة البشرية تستمد من الخبرة الحسية (اللذة والالم). مثلا: الرغبة في لون معين من الطعام (نجد شهوة الطعام فطرية زائد خبرة).

-عواطف غير مباشرة( الحب، الكراهية، الزهد..)

-عواطف تنشأ عن تأملاتنا في الجمال، القبح، الذي يكون في الأفعال والأشياء.(زكي نجيب محمود، رسالة في الطبيعة البشرية، ص113).

والنتيجة: توجد عواطف أولية متصلة بالغرائز الفطرية (الجوع، الجنس). وعواطف ثانوية تستند إلى الغرائز لكنها ليست غريزية.

ثالثا: تحليل الأخلاق:

 طرح دافيد هيوم سؤال تأسيسي في هذا الجزء من الرسالة وقد أعاد نشره في جزء مستقل ما هو الأساس الذي نقيم عليه أحكامنا الأخلاقية؟ أي هل حكمنا بأن الفعل شر أم خير فضيلة أم رذيلة يتاسس على المنطق العقلي أم على أساس الميول الوجدانية؟ هل الحكم يكون محل اتفاق كما هو الشأن في الأحكام الرياضية والمنطقية أم ذاتي محل اختلاف؟ وهل مثلا حكمنا على شيء بأنه جميل أم قبيح تابع لخبرتنا الحسية الشخصية أم تابع لطبيعة تنشأتنا الاجتماعية وكيفية تنمية حاسة الذوق فينا؟

يرى دافيد هيوم أن الطبيعة البشرية ليست فاسدة كما قالت الكنيسة والفلسفات السيكولائية، بل على العكس هي خيرة بالفطرة، وعلى النقيض من هوبز الذي قال أن الإنسان ذئب لأخيه الإنسان"(دافيد هيوم، رسالة في الطبيعة البشرية، ج2 في الاهواء، ترجمة وتقديم وائل علي سعيد، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2008، ص16)

الحكم الأخلاقي عند دافيد هيوم قائم على الذوق والعاطفة، والعقل يحلل الموقف للالمام بعناصره، ومن ثم تقبله أو رفضه، ولا يمكن القول أن الحكم الخلقي قائم على منطق العقل وحده فهذا أمر مرفوض، لأن المعرفة العقلية مجرد ادراك، والادراك وحده لا يقتضي عملا في حين الجانب الخلقي يقتضي ارادة وعمل، لذلك عندما نكون أمام حكم عقلي نقول (حق/باطل)، وأمام حكم خلقي (خير/شر)، وعندما نحكم على الفعل والفعل الاخلاقي يقوم على الواجب يجب أن تفعل أولا تفعل، ومصدر الواجب ليس العقل بل الاحساس بالرضى أو عدم الرضى، اللذة أو الألم، ويصبح الخير والشر مقولات فطرية (طبيعة بشرية) مثلها مثل السمع، البصر، لكن الفضيلة ليست فيما ينفع دائما.

أسس هيوم الأخلاق على الخير والشر بكونهما من قوانين الطبيعة البشرية، يقول:"بالاضافة للخير والشر، أو بكلمات أخرى الألم واللذة، تثور الأهواء المباشرة بصورة متكررة من باعث أو غريزة طبيعية، لا يمكن تعليلها بشكل دقيق، ولدينا من هذا النوع، الرغبة بايقاع العقاب بأعدائنا، والرغبة بالسعادة لأصدقائنا، والجوع، والشهوة الجنسية، وقليل من الشهوات الجسدية الأخرى، وتولد هذه الأهواء، بقول صحيح، الخير والشر، ولا تنطلق منهما، مثل الوجدانيات الأخرى" (دافيد هيوم، رسالة في الطبيعة البشرية، ج2، الأهواء، ص26).

خاتمة:

عمل دافيد هيوم في جزء العواطف والاخلاق على تعميم مبدئه الفلسفي وهو تأسيس الأخلاق على المبدأ الحسي (التجربة الشعورية) وكذلك العواطف هي مجرد تجارب شخصية باطنية، لكن هيوم تجاهل دور المجتمع في الحكم الأخلاقي كما لم يميز بين اللذات الحسية والعقلية.

نص"سيقر كل واحد منا بغير تردد بأنه ثمة فرق كبير بين ادراكات perceptions الذهن، عندما يشعر إنسان بألم الحرارة، أو بلذة الدفئ المعتدل، ثم عندما يستحضر بعد ذلك إلى ذاكرته هذا الاحساس Sontation. أو يستقبله بمخيلته، فهاتان الملكتان قد تحاكيان أو تنسخان ادراكات الحواس، ولكنهما لا تستطيعان أبدا بلوغ القوة والحدة التي للاحساس الأصلي، وغاية ما نقول عنهما حتى عندما تعملان بأقصى ما لهما من المتانة هو أنهما تمثلان موضوعهما على نحو فيه من الحياة، ما يكاد يجعلنا نقول إننا نحس به أو نراه: ولكنهما لا تستطيعان أبدا أن تبلغا هذه الذروة من الحدة بحيث تجعلان كل هذه الادراكات غير قابلة للتمييز بعضها عن البعض الآخر. إلا إذا الذهن مضطربا لسقم أو لجنون ألم به،...إن أشد الافكار حيوية تظل دون أبهت الاحساسات. يمكننا...أن نقسم كل ادراكات ذهننا إلى صنفين أو نوعين يتمايزان باختلاف درجات القوة والحدة في كل منهما، فاما أقلهما قوة وحيوية فتسمى عامة خواطر أو أفكار Ideas. وأما النوع الآخر نت الادرامات...فلنجوز لأنفسنا بعض الحرية لنسميها انطباعات Impressions ...اذ أعني بلفظة الانطباع جميع ادراكاتنا الأكثر حياة، إذ نسمع، أو نبصر، أو نحس، أـو نحب، أو نكره، أو نشتهي، أو نريد. ونحن نميز الانطباعات عن الأفكار. وهي الأقل حيوية ضمن الادراكات التي نعيها عندما نتفكر في تلك الاحساسات أو الحركات التي تقدم ذكرها ، ورغم أنه يبدو أن لخاطرنا هذه الحرية التي لا حد لها، فإننا، إذا ما فحصناه عن قرب، وجدنا أنه في الحقيقة رهين حدود ضيقة، وأن كامل هذه المقدرة الابداعية للذهن لا تتجاوزه قوة التركيب والنقل والزيادة من المواد التي توفرها لنا الحواس والتجربة، عندما تخطر ببالنا فمرة جبل ذهبي، فإننا لا نزيد عن ربط فكرتين قابلتين للارتباط هما فكرتا "الذهب" و"الجبل"، وقد ألفناهما من قبل ....وباختصار ، فإن كل مواد التفكير في مشتقة إما من احساسنا الداخلي، أو من احساسنا الخارجي، وبعبارة فلسفية، سأقول إن كل أفكارنا، وهي أضعف ادراكاتنا، هي نسخ من انطباعاتنا وهي أقوى تلك الادراكات، وحتى استدل على ذلك(اقدم الحجتان الآتيتان) أولا: إننا عندما نحلل أفكارنا، مهما كانت مركبة أو جليلة، نجد دائما أنها تنحل إل تلك الأفكار البسيطة التي نسخت عن سابق شعور أو احساس. وحتى تلك الأفكار التي تبدوا للوهلة الأولى أبعد ما يكون عن هذا الأصل، فإننا نكتشف بعد تدقيق النظر أنها انما اشتقت منه، ففكرة الله، بما هي موجودا لا حد لعقله ولحكمته ولخيريته، إنما تصدر عن التفكر في العمليات التي لذهننا نحن، والتوسيع اللامحدود لخصال الخيرية والحكمة تلك...ثانيا، إذا حدث، بسبب تعطل عضو من الأعضاء، أن انسانا ما لم يكن قادرا على احساس ما، فإننا نجد دائما أنه عاجز قليلا عن الأفكار المتعلقة بذلك الاحساس، فالأعمى لا يمكنه أن يكون أي فكرة عن الألوان، وكذلك الأصم، عن الاصوات".

دافيد هيوم، تحقيق في الفهم البشري، ترجمة محمد محجوب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص39-45.